الأهرام

المصدر: الاتحاد

التاريخ: ٣٠٠ يناير ٢٠٠٣

الخطاب الإسلامي في عصر العولمة

د. أحمد عبد الملك

أكاديمي وإعلامي قطري

إن بعض علمائنا يرفضون العقلانية أو «إشغال» العقل ودوره في أي خطاب ديني أو دنيوي وبذلك يرجحون كفة القائلين بـ «جمود» الخطاب الإسلامي.

في ورقة مهمة حدد الدكتور الداعية يوسف القرضاوي الملامح الرئيسية للخطاب الإسلامي المطلوب في عصر العولمة.. وقدم الورقة إلى الدورة الرابعة عشرة لمجمع الفقه الإسلامي.

ولسوف نتناول في هذا المقال أهم الرؤى التي لازالت محل اختلاف بين العقيدة والممارسة.

يرى د. القرضاوي أن «يجمع خطابنا الدعوي الإسلامي: بين روحانية المتصوف، وتمسك الأثري، وعقلانية المتكلم، وعلمية الفقيه. يأخذ من كل صنف خير ما عنده، ويمزج بينها في تناسق وانسجام».

وهنا يميل د. القرضاوي إلى منهج الوسطية المعروف بها.. إذ لا يتحدث - كما يفعل بعض الغلاة - عن أثر دون عقل.. ويصر على أن يمتزج الحوار في الأطر الأربعة التي ذكرها دون ترجيح احدها على الآخر.. وبذلك تتحقق ميزة التوازن في الخطاب المنشود. إن بعض علمائنا - هداهم الله - يرفضون العقلانية أو «إشغال» العقل ودوره في أي خطاب ديني أو دنيوي وبذلك يرجحون كفة القائلين بـ «جمود» الخطاب الإسلامي.

ويذكر د. القرضاوي بعشرة خطوط للصحوة الإسلامية وهي:

- من الشكل والمظهر إلى الحقيقة والجوهر.
- من الكلام والجدل إلى العطاء والعمل.
- من العاطفية والغوغائية إلى العقلانية والعلمية.
- من الفروع والذيول إلى الرؤوس والأصول.
- من التعسير والتنفير، إلى التيسير والتبشير.
- من الجمود والتقليد، إلى الاجتهاد والتجديد.
- من التعصب والانغلاق، إلى التسامح والانطلاق.
- من الغلو والانحلال، إلى الوسطية والاعتدال.
- من العنف والنقمة، إلى الرفق والرحمة.
- من الاختلاف والتشاحن، إلى الائتلاف والتضامن».

وتكاد تكون الخطوط أعلاه منهاجا عقلانيا للنهج الإسلامي الصحيح والمعاصر.. والذي يرد على كل الدعاوى المناوئة له. فكثير ممن تصدوا للشأن الديني في بلاد الإسلام يقدمون الموت على الحياة، والعقاب على الثواب.. ويخوفون الناس من عذاب القبر ولا يفرحونهم بالجنة.. ويروجون العاطفية والحمية - وإن كانت مغيبة للعقل - على الخطاب والحوار .. ويروون الأحاديث بصورة مروعة ومخيفة متناسين رحمة الله بالعباد.. والموعظة الحسنة. وبعض العلماء «ينحازون» إلى مذهب معين أو شيخ معين أي إلى الفروع والذيول - كما وصفها الشيخ القرضاوي - ويبتعدون عن «الرؤوس والأصول» خصوصا في مسائل العبادات. وكثيرا ما شاهدنا بعض العلماء - هداهم الله - مكفهري الوجوه.. يرفعون عقيرتهم بالصراخ يشددون على التشاحن ونبذ الآخر.. لا كما يريدهم القرضاوي مؤتلفين متضامنين. ويقترب الشيخ القرضاوي من أحداث العصر.. وما تثيره العولمة - في ظل القرية الكونية - من رؤى حول «عدائية» الإسلام و «عدوانيته» على غيره من الأديان، ويتضامن مع موقف بعض الحكومات الإسلامية التي «حرمت» دعوات الأئمة في المساجد على اليهود والنصارى.. وقد يكون هذا الخطاب الأجد في نهج العلماء في العصر الحديث.

ومن المعلوم أنه في كثير من بلاد المسلمين توجد أقليات من النصارى - وربما من اليهود - وهم مواطنون يشاركون المسلمين في المواطنة. وليس من اللائق أن ندعو بدعوة تشمل هؤلاء بالهلاك والدمار.

إذا ماذا يقول هذا الجيل الذي وصل إلى سن الخمسين والستين وهو يسمع أدعية لايقرها الدين ولا القرآن.. ألا يثير ذلك العديد من الاسئلة حول مصداقية بعض الدعاة الذين «قوليوا» فكر من سمعوهم بثقافة «الحقد على الآخر».. ثم ما ذنب الأطفال والنساء في تلك الدعاوى.. وهل يقبل المسلم أن «يستولي» على النساء والأموال والأطفال «غنائم» حرب.. ونحن في الألفية الثالثة؟؟

ويركز الشيخ القرضاوي على قضية

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

المعاصرة.. ويرى أن العقلية العلمية هي التي «ترد كل شيء إلى العلم، وتزن كل شيء بالمنطق. ولا تقبل دعوى بلا برهان، وترفض التسليم للأباطيل، وقبول المبالغات والتهاويل، ولاتستسلم للدجالين والكهنة والمتلاعبين بعقول الجماهير باسم الدين، فالدين براء من هؤلاء..»

هذه هي المعاصرة التي لا تفرط بالأصالة.. ولا تلغي دور العلم والعقل.. وتحد من الغوغائية التي يرسمها بعض الذين زجوا بأسمائهم في الدين.. وبدأوا يلاحقون النساء في الأسواق والحدائق وهم يحملون اشارات التهمة في عيونهم وأيديهم نحو النساء، وضد الشباب في الاسواق.. وكأن الإنسان «متهم» وعليه اثبات براءته أمامهم. وكم يشاهد المرء من أمثال هؤلاء في بعض العواصم العربية ممن «يلغون» شخصيتك الإسلامية، وبضايقونك وكأنك «طفل» تحتاج إلى ارشاد منهم.

ويلمح د. القرضاوي إلى ضرورة «التجديد» استنادا إلى «سنة فلكية» «كل في فلك يسبحون».. ولكنه يذهب إلى أبعد من ذلك متمسكا بحتميات العصر «لا يجوز تجميد العلم أو الفكر بدعوى قولهم: ماترك الأول للآخر شيئا.. فكم ترك الأول للآخر» إشارة إلى التجديد وإن المجال متاح لإعمال الفكر. وضرورة إبداء المرونة التي يراها تختلف باختلاف البيئات والأزمان والأحوال، بل قد تختلف باختلاف الأشخاص.

ويربط د. القرضاوي النهج المطلوب في الخطاب الإسلامي بضرورة من ضرورات العصر وهو التوازن والاعتدال.

يقول: «لاينبغي للفقيه أن يشدد على جمهور الناس في الأمور التي تهم جمهورهم، وتتصل بحياتهم الاجتماعية، مراعيا أن فيهم: الضعيف والكبير، والمريض، وصاحب العذر، و «لهذا يحسن بالخطاب الديني المعاصر: ألا يتبنى الآراء المتشددة التي تضيق ولا توسع، وتجنح إلى التحريم أكثر من التحليل في القضايا المتعلقة بالمرأة والأسرة واللهو والفنون ونحوها.

وفي لهجة واضحة ومباشرة يصف الشيخ القرضاوي المتمسكين بـ «حرفية النص» لا دلالاته وأهدافه.. يقول: «إن مشكلة (الحرفيين) أنهم في غالبهم مخلصون طيبون متدينون، لكنهم ضيقو الأفق في فهم النصوص، وفي فهم الواقع، ولا يبالون بتغيير الزمان والمكان والانسان. وهم مستعدون أن يقاتلوا دون رأيهم، وأن يخوضوا المعارك لإبقاء كل قديم على قدمه، فليس في الإمكان أبدع مما كان، وما ترك الأول للآخر شيئا، وأول أسلحتهم في معركتهم: الاتهام لكل من عارضهم بقلة الدين، واتباع غير سبيل المؤمنين، وأسرع الكلمات إلى ألسنتهم إذا خطبوا، وإلى أقلامهم إذا كتبوا: (التبديع) و(التفسيق) بل (التكفير)».

على مدى سنوات عمرنا ونحن نواجه أمثال هؤلاء الذين شوهوا الدين ليس في عقول «الآخر» بل في عقول بعضنا من المسلمين. وجعلوا العديد من الشباب المسلم المعتدل «الوسطي» ينفر وهو في ريعان شبابه وفصول تكوينه الفكري والروحي والجسدي. ذلك أن «ثقافة الغلو» التي مارسها هؤلاء قد جعلت من هؤلاء الذين عناهم الشيخ القرضاوي بـ «الحرفيين» مراكز قوى رهيبة.. وكان أسهل أسلحتهم «تكفير» من يحاول حوارهم بالتي هي أحسن.

خطاب جميل يحمل معاني الإسلام السامية.. يشد ولا ينفر.. يحبب ولا يكره.. يوازن بين الروح والمادة.. هذا هو الخطاب الذي نأمل تعميمه في مساجدنا وأنديتنا وشوارعنا وعلاقتنا بالآخر.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية